Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

خصوصية الخطاب الحجاجي في ضوء الوظائف التداولية

The specificity of the argumentation discourse in the light of parliamentary functions

أ. دوبالة عائشة1Doballah aicha، أ.د. محمد برونة2Berrounamohammed
1جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، قسم اللغة والأدب العربي université d'Oran 1 Ahmed Ben Bella, département de langue et littérature Arabe, email : doballah31@gmail.com
2جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، قسم اللغة والأدب العربي université d'Oran 1 Ahmed Ben Bella, département de langue et littérature Arabe, email : medberrouna@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2019-02-01 تاريخ القبول : 2019-02-19

ملخص:

يستدعي التأثير والإقناع في التخاطب الإنساني آلية بيانية فاعلة لتحقيقه، لذا نجد الحجاج ميزة من ميزات هذا التخاطب بمواقفه وأشكاله المتعددة، إذ يعد ركيزة الخطاب الموجهة للمقصدية والنقاش والنقد. إذ قد تعتري المخاطب بعض المواقف التي يحتاج فيها أثناء العملية التواصلية إلى إثبات فكرة أو الدفاع عن رأي معين أو إقناع طرف ما بشيء محدد، وقد لا يكون ذلك ممكنا إلا بوسائل لغوية ذات طابع حجاجي تدفع بالمتلقي إلى الاستجابة لما يصبو المرسل والمخاطب إلى تحقيقه بناء على ما يختاره من حجج مقنعة وأدلة مناسبة.

ونحن من خلال هذه الدراسة، سنسعى إلى التطرق لماهية الحجاج في ضوء الوظائف التداولية في الخطاب التواصلي.

كلمات مفتاحية:الحجاج، الخطاب التواصلي، الوظائف التداولية، الإقناع، المتلقي.

Abstract:

The influence and persuasion in the communicative discourse calls for an effective graphic mechanism to achieve it, as argumentaion find an advantage of this communication in its multiple positions and forms, as it is the cornerstone of the discourse directed towards purpose, discussion and criticism. The communicator may have some situations in which he needs to communicate during the communication process to prove an idea or defend a particular opinion, may not be possible only by means of language of the nature of argumentation pay the recipient to respond to what the objector and the sender to achieve based on the choice of arguments and convincing evidence.

Through this study, we will seek to address the meaning of the argumentation in the light of the deliberative functions in the communicative discourse.

Keywords: argumentation,communicative discourse, deliberative functions, persuasion, the receiver.

مقدمة:

تعتبر النظرية الحجاجية من أهم الدراسات التي أفرزتها البلاغة الجديدة، وهي تضم تلك البحوث التي تهتم بتقنيات وآليات استعمال الحجة وتنويع الخطابات بحسب المقامات والغايات. وإذا كانت بنية الحجاج تعتمد على آليات لغوية وتقنيات أسلوبية بلاغية، فإن الإشكالية التي أثارت فضولنا العلمي هي:

كيف تسهم هذه الآليات والتقنيات في بناء الخطاب الحجاجي وتحقيق غايته الحجاجية في ضوء الوظائف التداولية ؟

1. الخطاب الحجاجي:

لا يسعنا الوقوف على الخطاب الحجاجي وأهميته في بناء الحجاج، ما لم نقف على تعريف الخطاب أولا، ودراسة أهمية ارتباط الحجاج به ثانيا، وعن صدق تصنيف مقصدية الحجاج ثالثا.

فالخطاب حسب تعريف التهانوي "توجيه للكلام نحو الغير لإفهام".[1] وهو كما نرى يشير إلى قضية الفهم والإفهام، على أننا نتلمس في التعريف أن الكلام المقصود يحمل طاقة تعبيرية مشحونة في لفظة (توجيه)، فاللفظ يحتمل عملية الانتقاء والاختيار للكلام الموجه نحو الغير بدلالة قصدية معينة هي المسيطرة على الخطاب.

ويؤيد هذه الرؤية تعريف (طه عبد الرحمن) للخطاب بأنه "كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا" [2]، فالإفهام في الخطاب لا ينفصل بحال من الأحوال عن القصد.

وعلى أن دلالة القصد – كما سنناقشها – لا تأتى من ارتباط الخطاب بالحجاج إلا من منطلق أن غاية الحجاج هو الإقناع والتأثير وهو ما يشترك فيه لفظ الخطاب – أيضا – "فكلمة خطاب تعني في البلاغة متتالية من التمشيات الخطابية التي يقصد بها الإقناع أو إثارة العواطف، وهي تمشياتتنتظمها قواعد دقيقة"[3]، وقريب من هذا ما حدده بنفنست بوصف الخطاب ضمن إطار أكثر شمولا واتساعا بأنه كان ملفوظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير في الثاني[4].

إن الخطاب بما هو توجيه الكلام وتعلقه بالفهم والإفهام عند التهانوي، أو بارتباط الإفهام بالقصد كما هو عند طه عبد الرحمن، أو تحميل دلالات الإقناع والتأثير كما هو عند ديبواهوبنفنست دليل على أن الخطاب والحجاج مضماران يسيران إلى غاية واحدة وهي الإقناع بحده "محصلة قول حجاجي ترفع بسلطته المسافة بين الإنسان والإنسان، ويوجه لتحقيق أغراض مختلفة"[5]، والإقناع وحده ما يجعل الخطاب موجه بطريقة حجاجية قصدية فالقصد وصف لا يفارق الخطاب أو الحجاج فكيف يفارقهما مجتمعين؟

وفي تعريف الأزهري الذي أثبت عن لسان العرب أثناء حديثنا عن الحجاج في اللغة، وهو: "إنما سميت حجة لأنها تحج، أي تقصد، لأن القصد لها وإليها"، وبذلك يكون القصد نحو الحجاج نابعا من كون المتكلم يحمل حجاجه قصدا معينا يريد به إقناع سامعه في الدعوى المتنازع حولها بما يفترضه القصد أو المقصدية – كما في الدراسات الحديثة – من جود مرسل ومتلق [6]، بحيث يحاول كل منهما استمالة الآخر متوسلا بخطابه الحجاجي المشحون بالإقناع، وبالمقصدية التي يحملها حججه حتى تجعل الآخر في أقصى مراحل الإذعان والتسليم لرأيه.

ومن الطريف أن المقصدية "هي خاصية الشعور في إشارته إلى الموضوع، أو في طريقة لإدراكه" [7]. إن المقصدية ترتبط بسيكلوجيا الإنسان وكذلك الحجاج فقد ذكر بيرلمانوتيتكا قولهما بأن "نظرية الحجاج التي تتوخى اعتمادا على الخطاب الظفر بتأثير فعال في النفوس كان بإمكانها أن تدرس باعتبارها فرعا في السيكلوجيا"[8].

ويرى هنريش بليث أن الحجاج نمط أساسي من المقصدية "يتمثل في جعل موضوع الخطاب ممكنا بالرجوع إلى العقل"[9] وتكون عرض الحجج ممتلئة بالمقاصد التي يروم المتكلم تحقيقها إقناعا في متلقيه وهذا ما يجعل الخطاب الحجاجي موصوفا بالمقصدية؛ لأن التفاعل بين المرسل والمتلقي في الخطاب الحجاجي هو خصيصة من أهم خصائصه، وذلك راجع إلى كون المقاصد التي يحملها مملوءة بدلالة القصد الإقناعي والتأثيري الذي يتولد من خلال التفاعل في القصد، والذي وصفه محمد مفتاح بأنه أحد مميزات المقصدية فهي تؤمن التفاعل بين المرسل والمتلقي[10].

إن القصد بما يتوسل من اللغة لتحقيق أهداف الخطاب الحجاجي، وبما يفرضه من حضور طرفي الخطاب مرسل ومتلق، بوصف أن الخطابات "المخاطبة المقنعة تراعي محوري عملية التخاطب"[11]، وما يجعل ذلك الخطاب الحجاجي المنتج بارزا وحاضرا ليس بسلطة المتكلم وحده بل بسلطة المتلقي أيضا، فهو أحد أطراف الدعوى.

2. التقنيات الحجاجية :

إن البعد الحجاجي لا يكون حاضرا بشكل مباشر في كل أنماط الخطاب، بل قد يتخذ منحى غير مباشر، وهذا ما يجعل محاولة الإقناع هي بدورها غير مباشرة و غير معلن عنها، غير أنه يمكن استنباطها من كيفية توظيف الخطاب لألفاظه و تراكيبه، من ذلك ما نجد في الخطاب الإخباري و الوصفي والمحكي و الإشهاري، حيث إن طريقة تشكيل الخطاب هي التي توجه المخاطب إلى النظر إلى الأشياء بطريقة معينة.

ولعل هذا هو الأمر الذي دعا برلمان إلى اعتبار أن جوهر نظرية الحجاج هو دراسة التقنيات الخطابية التي توجه الآخر نحو تبني وجهة النظر المطروحة .

يشير (بلينجر) إلى أن مقاربة الإقناع تتم من ثلاثة زوايا هي:

أ - زاوية بنية وسائل الاتصال (مقاربة سياسية و سوسيولوجية): من يتحكم في الخبر و يوجهه).

ب - زاوية محتوى الرسائل (أنماط الحجة و طبيعة الرسالة و خصائصها).

ج - زاوية الآثار التي يحدثها الإقناع (تحليل النماذج الخاصة بتغير الموقف).[12]

في الاتجاه نفسه ينظر (كابفيرر) إلى الإقناع باعتباره " كلا تضبطه ست عمليات يجملها كالآتي:

أ - تلقي الرسائل بما في ذلك كيفية هذا التلقي و أسبابه.

ب - تفكيك الرسائل، و ذلك انطلاقا من إجراءات توجيهية و تحويلية تتيح استيعاب الخطاب.

ج - قبول الرسالة (التصديق) أي كيف يتم إعداد مسلسل قبول القصد الإقناعي للرسالة أو رفضه و كيف يتم المرور من الفهم إلى الإقناع.

د - إدماج القبول في الموقف الشخصي: بأي معالجات سيكولوجية نمر من مسلسل القبول إلى تكوين موقف جديد (بداية الميل إلى حزب معين مثلا).

هـ - تعميق القبول و الحفاظ عليه: كيف تتطور المواقف في الزمن و هل تتمتع التغييرات بما يكفي من أسباب المقاومة.

و - تقيد السلوك الشخصي بالقبول: كيف يترجم تغيير الموقف إلى تغيير للسلوك.

إن هذه العوامل جميعها تصب في اتجاه إستراتيجية أساسية تتلخص في التأثير و الإقناع تجعل هذه الإستراتيجية الخطاب الحجاجي مرتبطا بأغراض أربعة ، كالآتي:

-الإقناع.
-المداولة.
-التسويغ.
-التموضع في مقارنة مع الآخر"[13].

3. الوظائف الحجاجية لعوامل الإثبات:

تعد عوامل الإثبات، كما يدل على ذلك اسمها، من بين الوسائل الحجاجية التي يضمنها المتكلم خطابه بغية إثبات معانيه، وتوكيدها وتقريرها في نفس المخاطب، وتمكينها في قلبه، فضلا عن إزالة ما في نفسه من شبهة وتوهم، ومن ثم، فهي تعد "الضمان لحقيقة الكلام ولإمكان أن يكون هذا الكلام مقنعا"[14]. فالإقناع كما يحصل لدى المتلقي من خلال توظيف الخطيب لمختلف أنواع الحجج الموجهة إلى العقل كالأدلة والبراهين، والاستدلالات اللغوية، والقياسات المضمرة، أو من خلال توظيفه للحجج التي تخاطب العاطفة كالصور البلاغية، والمحسنات البلاغية وغيرها، فإنه يحصل كذلك من خلال توظيفه لعوامل الإثبات.فالمتكلم حين يبدو واثقا من كلامه، وأكثر حضورا فيه، وأكثر تأكدا منه، فهو يدفع المتلقي بدوره إلى التصديق بهذا الكلام والاقتناع به، وذلك بفضل ما يتضمنه هذا الكلام من عوامل إثباتية تعكس درجة هذا الحضور، وتكشف عن مدى هذا الوثوق.

فهذه العوامل، حين تظهر في عالم الخطاب، تسمح بتوجيه الكلام حسب مقاصد المتكلم، وتعمل على حمل المخاطب على الاقتناع، وترك التردد والإنكار والشك في القضايا التي تعرض عليه. يقول ميشال مايير: "عندما يقول شخص بقوة: (يقين أن) أو (بديهي أن) عوض أن يقول ذلك بشكل بسيط خال من عوامل الإثبات، فإنه إنما يفعل ذلك لكي يمنع أي نقاش أو خلاف قد يصاحب قوله. فمن منا لا يحب الحقيقة أو يقبل أن يكون ضيق الأفق؟"[15].

فالتأكيد أو الزيادة في تأكيد القضايا عبر عوامل الإثبات هو وسيلة للتعبير عن موقف المتكلم من القضية التي يعرضها [16]، ذلك أن الإقناع قد يحصل لدى المتلقي لمجرد أن القضية المعروضة عليه جاءت موجهة توجيه إثبات. وفي هذا يقول أوستين: "في حال قولي (إن السماء ممطرة) لم أكن مراهنا، ولا مجادلا ولا محذرا، وإنما كنت مثبتا لهذه الحال كواقعة... وفي حال قولي: (إن ذلك قد جرنا إلى البطالة وعدم التشغيل) لم أكن محذرا ولا محتجا، وإنما كنت مثبتا لهذه الوقائع. وحتى نستخدم محكا اختباريا من نوع آخر مختلف... إذ من المؤكد أن عبارتي: (أثبت بأنه لم يفعله) هي من نفس مستوى: (أحتج بأنه لم يفعله)، و (أشير إلى أنه لم يفعله)، و (أراهن على أنه لم يفعله)، وقس على ذلك"[17].

ومن ثم، فإن توظيف عوامل الإثبات التي تعبر على عبارة (أثبت أن...) هو توظيف لا يقل حجاجية عن استعمال الحجج والأدلة الأخرى، ذلك أن هذه العبارة "لا تختلف اختلافا جوهريا عن عبارة (أؤكد بالدليل أن...)"[18].

4. الوظائف التداولية للخطاب:

لقد تجاوز الدرس التداولي فكرة الوظيفة الوحيدة للغة التي هيمنت منذ زمن طويل وهي الوظيفة التواصلية، وتعداها إلى الوظيفة التأثيرية في السلوك الإنساني، والتي تنبني عليها تغيرات في المواقف والآراء[19].

وتعرف الوظيفة بحسب معجم (جون ديبوا) بأنها "الدور الذي تؤديه الوحدة اللسانية في البنية

التركيبية للملفوظ، ويعد كل من الجملة مشاركا في معناها العام [20]".

وفي معجم (جورج مونان) تقوم وجهة النظر الوظيفية في التحليل اللساني على وصف بنية لغة ما والتي تعرف قبل كل شيء بأنها وسيلة التواصل، وفي هذه الحال فهي كل الوحدات اللسانية والعلاقات المتبادلة بينها، وتحلل وتوصف بدورها ووظيفتها في مؤسسة التواصل[21].

نستخلص من هذين التعريفين أن تحديد الوظيفة اللغوية من الجانب اللساني تقوم أساسا على فكرة التواصل، بحيث يؤدي كل عنصر دوره في عملية المشاركة التواصلية، وتكون عملية التواصل عن طريق العلاقة المتبادلة بين الوحدات اللسانية، حيث تحلل هذه العناصر وتوصف بدورها وظيفة.

إن مهمة الوظائف التداولية أن تحدد وضعية مكونات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية والمعلوماتية، في علاقة الجملة بالطبقات المقامية المحتمل أن تنجز فيها، فهي إذن مرتبطة بالسياق والمقام، ومدى إنجازيتها في واقع التواصل[22].

إن مجموع الوظائف التداولية حسب (سيمون ديك) عدة وظائف؛ نذكر منها: المحور، البؤرة، المبتدأ...، وفيما يلي تعريف لهذه الوظائف:

1.4.الوظيفة المحور:

يقدم (سيمون ديك) تعريفا لوظيفة المحور وهو "أنها تستند إلى المكون الدال على ما يشكل المحدث عنه داخل الجمل"[23]، والمحور هو الذات التي تشكل محط خطاب ما، أو الذات التي تشكل موضوع حمولة المعلومات الواردة في الخطاب التواصلي[24].

وللتوضيح نأخذ الجملتين التاليتين كمثال على ذلك:

- متى رجع زيد؟

- رجع زيد البارحة.

يشكل المكون (زيد) محور الجملتين لدلالته على الشخص المحمول عليه بقية الجملة (متى رجع) في الجملة الأولى و(رجع البارحة) في الجملة الثانية، ويأخذ هذا المكون وظيفة المحور بمقتضى الوضع التخابري بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة، فزيد في الجملتين يدل على المحدث عنه مع الفرق الآتي:

- يدل "زيد"، في الجملة الأولى على الشخص الذي يشكل محور الاستخبار.

- ويدل في الجملة الثانية على الشخص الذي يشكل محور الإخبار[25].

2.4. الوظيفة البؤرة:

إن التعريف السائد في النحو الوظيفي للبؤرة هو ما اقترحه (سيمون ديك)، والذي يقوم أساسا على فكرة أن وظيفة البؤرة تستند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة، ويمكن أن نميز نوعين من البؤرة هما:

- بؤرة الجديد:

تعرف بؤرة الجديد بأنها البؤرة المستندة إلى المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب؛ أي المعلومة التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب.

- بؤرة المقابلة:

البؤرة التي تستند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يشك المخاطب في ورودها أو المعلومة التي ينكر المخاطب ورودها[26].

نستخلص مما سبق ذكره حول الوظيفتين وظيفة البؤرة ووظيفة المحور، أن كلا منهما يستند إلى عناصر تنتمي إلى الجملة ذاتها، حيث وظيفة "البؤرة" تستند إلى المكون الأكثر بروزا في الجملة، في حين أن وظيفة "المحور" تستند إلى المكون الدال على ما يشكل المحدث عنه داخل الجملة.

5. سمات المتكلم المحاجج:

لابد أن تتوفر مجموعة من السمات والشروط في المتكلم المحاجج لغاية تهيئة المستمع لقبول النتائج المقصودة، من خلال استمالته والتأثير في مواقفه؛ "فتأثر المتلقي واستجابته للرسالة رسالة محاججة ومناظرة[27]".

ولعل أهم هذه السمات والشروط ما يلي:

1/ حسن تلاؤم موضوع الخطاب الحجاجي مع المقام، خاصة ما تعلق بالزمان والمكان.

2/ اختيار المتكلم للمقدمات المعتمدة في الحجاج، على أساس قضايا احتمالية قابلة للحوار والنقاش.

3/ سعي المتكلم المحاجج إلى تحقيق مبدأ التعاون أثناء الخطاب، كي لا يصبح الحجاج فرضا وإلزاما على المستمع، بل يترك المجال بين الأخذ والرد في الحوار.

4/ اعتماد المتكلم المحاجج لغة طبيعية، مع حسن تأديتها بعيدا عن الانفعال والتكلف، غايتها استمالة المستمع ومخاطبته.

5/ إبراز المتكلم المحاجج لمدى اقتناعه بصحة ما يقصد من نتائج وظهور ذلك في واقعه العملي والملموس.

خاتمة:

نخلص مما سبق إلى أن الوظائف التداولية والوظائف الحجاجية لعوامل الإثبات تؤدي دورا مهما في الإقناع، وتعد التقنيات الحجاجية من أبرز العناصر المكونة للخطاب لما تؤديه من دور في تحقيق هذه الغاية، وإضفاء توجيه حجاجي على القول، وتحديد الموقف الذي يظهره المتكلم من ملفوظه، وهو ما يشكل بالنسبة للمتلقي، مبعثا لتصديق الكلام والإقناع بالقضايا المعروضة فيه والعمل بمضمونها.

هوامش:

1. عبد الرحمن بن حميدي المالكي، الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث، مجلة البحث العلمي في الأدب، جامعة فيصل كلية الأمير سلطان، جدة- السعودية، ج2، ع: 19، 2018، ص18.

2. المرجع نفسه، ص19.

3. صابر الحباشة، الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إبرد – الأردن، ط1، 2011، ص104.

4. انر سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط4، 2005، ص164.

5. عبد الرحمن بن حميدي المالكي، الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث، ص19.

6. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط4، ص 164.

7. سلطان الزغلول، المقصدية بين نظرية المعرفة وآفاق اللغة والأدب، مجلة علامات، النادي الأدبي بجدة، المملكة العربية السعودية، ج74، 2011، ص102.

8. عبد الرحمن بن حميدي المالكي، الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث، ص20.

9. هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب، 1999، ص25.

10. محمد مفتاح، دينامية النص تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط3، 1990، ص50-51.

11. سلطان الزغلول، المقصدية بين نظرية المعرفة وآفاق اللغة والأدب، ص108.

12. ربيعة العربي، بلاغة الحجاج وتقنيات التأثير، www.m.ahewar.org

13. ربيعة العربي، بلاغة الحجاج وتقنيات التأثير، www.m.ahewar.org

14. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط2، 2007، ص320.

15. Michel Meyer: Logique, langage et argumentation, éditions: Hachette Universitaire, 2ème édition, Paris, p: 115.

16. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط- المغرب، د.ط، 1995، ص 181.

17. جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص 168- 169.

18. المرجع نفسه، ص 170.

19. ينظر: خليفة بوجادي، خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور للشاعر الجزائري عبد القادر بن محمد بن القاضي- دراسة في الوظيفة التداولية، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة – الجزائر، 2005-2006، ص117.

20. المرجع نفسه، ص118.

21. المرجع نفسه، ص118.

22. ينظر: المرجع نفسه، ص119.

23. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، ص69.

24. خليفة بوجادي، خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور للشاعر الجزائري عبد القادر بن محمد بن القاضي- دراسة في الوظيفة التداولية، ص121.

25. المرجع السابق، ص69.

26. المرجع نفسه، ص28-29.

27. جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، ط1، 2002، ص118.